النساء وفتنة الرجال

الاختلاف طبيعة بشرية

فور دخول الأستاذ نبيل التفَّت حوله بعض الطالبات وقلْنَ له : لا بد أن تُعيد علينا ما قلته ونحن غائبات .. أنا كنت في الرحلة .. وأنا كذلك ، فقال الأستاذ نبيل : إن شاء الله .

صاحت الطالبات فرحاً فأكمل : ولكن بعد أن ننتهي من شرح الدرس المقرر .

تعالت اعتراضات الطالبات ولكن الأستاذ نبيل قال بصرامة : لقد أضعنا عدة حصص للحديث في قضايا غير مقررة عليكن وأنا لن أضيع هذه الحصة أيضاً دون أن أشرح الدرس المقرر ، فأنا ملزم بمنهج لا بد أن أتمه .

- تفضل يا أستاذ لكن بالله عليك لا تُطِلْ .

- درسنا اليوم عن الاختلاف طبيعة بشرية : إذا كان التنوع والاختلاف طبيعة بشرية فمن أبرز المظاهر الدالة على هذا التنوع اختلاف اللسان واللون والعِرق ؛ ليكون دافعاً إلى التفاعل الإنساني قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] ويتجلَّى ذلك الاختلاف بوضوح في اللغة والعادات والأعراف والعقيدة والفكر والمصالح والغايات والتفكير والمشاعر والأحاسيس ؛ لذا كان لزاماً على بني آدم أن يعالجوا مثل هذه الاختلافات بالطرق الحضارية والسلمية ، أن يتدبروها بشكل إنساني بعيداً عن التعصب والتطرف الفكري ويحددون الضوابط الكفيلة للحد من النزاعات والخلافات ، مما حدا بهم إلى

الاصطلاح على مفاهيم وقوانين وضوابط مكنتهم فيما بعد من التوافق والتعايش في جو من السلم والمحبة والتآخي ...

عند هذا الحد كانت غمغمة الطالبات وهمساتهن قد غطَّت على صوت الأستاذ فقال لهن وهو يبتسم : نكتفي بهذا القدر من الدرس .

وهنا تعالت صيحات الطالبات مستحسنة كلام الأستاذ . ثم صمتن كأن على رؤسهن الطير .

قال الأستاذ نبيل : سوف أجيب عن أحد أسئلة سارة .

- أكمل لنا يا أستاذ موضوع الحب .
- هذا الموضوع له علاقة بالحب أيضاً .. فتنة النساء للرجال .
- وأضف إليه فتنة الرجال للنساء يا أستاذ ؟

فتن الدنيا

- شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل الدنيا دار فتنة وابتلاء وأن يجعل الآخر دار حساب وجزاء ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾ [الكهف:٧] .

والله تعالى يبتلي الإنسان بالخير فتنة كما يبتليه بالشر ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] فالبلاء والفتنة لا يكون بالشر فقط إنما يكون بالخير أيضاً ، فمما لا شك فيه أن الأموال والأبناء خير بل زينة الحياة الدنيا ﴿المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾ [الكهف:٤٦] ومع ذلك يقول الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨] ويقول تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥] .

فتنة المال

والمال لا يشك عاقل في كونه فتنة وابتلاء عظيم فالإنسان يحبه حبه شديداً ﴿وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨] وقال المُفسِّرون المقصود بالخير في الآية هو المال ، والإنسان يقتل من أجل المال ، ويسرق من أجل المال ، ويخون الأمانة من أجل المال ، ويقطع رحمه من أجل المال ، ويرتكب كل الفواحش بالمال ومن أجل المال ، وكثرة المال ليست دليل رضا الله تعالى كما يتوهم الناس وقلته ليست دليل سخط الله تعالى ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥ ، ١٦] ويجيء رد الله تعالى على هذا الفهم الخاطئ ﴿كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ﴾ [الفجر:١٧] والحقيقة أن بَسْطَ النعمة ليس دليلاً على حب الله للغني بل اختباراً له أيشكر أم يكفر ؟ وكذلك تضييق الرزق ليس دليلاً على إهانة الله للفقير بل اختباراً أيصبر أم يتبرَّم؟ فالكرامة والإهانة لا علاقة لهما بالغنى والفقر الماديين إنما في الاستقامة على شرع الله والانحراف عنه .

والإنسان سوف يُسْأَل عن ماله يوم القيامة مرتين : من أين اكتسبه وفيما أنفقه " لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسألَ عن عمُرِهِ فيما أفناهُ، وعن علمِه فيما فعل، وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وعن جسمِه فيما أبلاهُ " [صحيح الترمذي] .

نأتي بعد ذلك إلى فتنة الأولاد فالإنسان الذي رزقه الله تعالى الأولاد قد يتلهَّى بهم عن العمل الصالح ، أو يحملونه على قطيعة الرحم ، أو الوقوع في المعصية، فيستجيب لهم بدافع المحبة لهم ، فالإنسان قد يسرق أو يرتشي أو يتاجر في المحرمات والمنكرات من أجل أولاده وتلبية احتياجاتهم .

صاحت بعض الطالبات : ما لنا وحديث الفتن والابتلاءات أكمل لنا الكلام عن الحب كما وعدتنا .

فتنة النساء

قال الاستاذ نبيل وهو يبتسم : وفتنة النساء كفتنة الأموال والأولاد بل أشد فالنساء من الخير الذي ابتلي الله تعالى به الإنسان وفي مقدمة زينة الحياة الدنيا ولقد قدَّمها الله تعالى على المال والأولاد ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ .. ﴾ [آل عمران:١٤] .

والآية تَرِد هنا في معرض المدح وليس الذم، وفي معرض الامتنان وليس على سبيل التحذير، فمِنْ نِعَم الله على عباده في الأرض أنه خلق فيهم الشهوة للنساء وخلق فيهم المحبة لهن ، إذ لولا الشهوة والمحبة لما أقدم الرجال على الزواج من النساء ، ولولا حب الأولاد لما أنجب الوالدين ولا تحملت النساء الحمل والولادة والرضاعة ولا تحمل الآباء السعي على رزقهم ، ولولا حب المال لما عمل الناس ولما عمَّروا الكون لقد ركَّب الله تعالى تلك الشهوات لعمار الكون وإصلاحه ولولا هذه الشهوات لما استمر الكون ولفني منذ زمن بعيد .

يقول ابن القيم : " محبة ما زيَّنه الله للنفوس من النساء والبنين، والذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيحبها محبة شهوة، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، فهذه المحبة ثلاثة أنواع : فإن أحبها لله توصلاً بها إليه، واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها، وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه، ويتلذذ بالتمتع بها، وهذا حال أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب، وكانت محبته لهما عوناً له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره.

وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته، ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه، بل نالها بحكم الميل الطبيعي، كانت من قسم المباحات؛ ولم يعاقب على ذلك، ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه.

وإن كانت هي مقصودة ومراده، وسعيه في تحصيلها والظفر بها، وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه، كان ظالماً لنفسه متبعاً لهواه. " .

يقول النبي ﷺ " إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ ، وإن اللهَ مستخلفُكم فيها .
فينظرُ كيف تعملون . اتقوا الدنيا واتقوا النساءَ . فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النساءِ " [متفق عليه] .

معنى اتَّقُوا النِّساءَ

فاتَّقُوا الدُّنيا : أي قُوموا بِما أَمرَكم به، واترُكوا ما نَهاكُم عنه، ولا تَغُرَّنَّكم حَلاوَةُ الدُّنيا ونَضْرَتُها. كما قال تَعالى: ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] وَاتَّقُوا النِّساءَ: أي احذَروا أن تَميلوا إلى النِّساءِ بِالحَرامِ ، فإن جمال النساء يجب أن يدفع الإنسان للعمل والسعي لتحصيل تكاليف الزواج ، ولقد وعد الله تعالى أن يغني الفقراء الطالبين للعفاف ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢] ويقول النبي ﷺ " ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ أنْ يُعينَهم: المجاهدُ في سبيلِ اللهِ، والنَّاكحُ يُريدُ أنْ يستعِفَّ، والمُكاتَبُ يُريدُ الأداءَ " [صحيح ابن حبان]

وإلى أن يرزقه الله تعالى ما يتزوج به فعليه مع سعيه في طلب الرزق أن يُنَزِّه بصره وفرجه عن الحرام ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣] ويقول تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور:٣٠] ويقول النبي ﷺ في بيان ذلك :
" منِ استَطاعَ منكمُ الباءةَ فليتزوَّجْ ، فإنَّهُ أغضُّ للبصرِ ، وأحصنُ للفرجِ ، ومن لم يستَطِعْ منكُم فعلَيهِ بالصَّومِ ، فإنَّهُ لَهُ وِجاءٌ " [صحيح أبي داود] .
قالت عبير : وكيف يمكن أن يتزوج الشباب وتكاليف الزواج مرتفعة جداً ؟ فماذا يفعل الشباب ؟

كيف عالج الإسلام مشاكل الزواج

– أمر النبي ﷺ أولياء أمور النساء أن يختاروا الزوج الصالح ذا الخلق والدين وإن كان فقيراً : " إذا أتاكم مَن ترضونَ خلقَهُ ودينَهُ فزوِّجوهُ إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ " [صحيح ابن ماجة] .

وكما أمر الإسلام الرجال بالسعي في طلب الرزق الحلال وغض البصر وحفظ الفرج عن الحرام لكي ينعموا بالزوجة الصالحة التي يقول عنها النبي ﷺ : " خيرُ نِسَائِكُم التي إذَا نَظَرَ إليها زَوْجُهَا سَرَّتْه ، وإنْ أمرَهَا أطَاعَتْهُ ، وإذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْه في نَفْسِهَا وَمَالِه " [صححه الحافظ العراقي] وأمر الله تعالى أولياء الأمور بعدم المغالاة في المهور وتيسير الزواج للصالحين طلاب العفاف " إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا ، وَتَيْسِيرُ صَدَاقِهَا ، وَتَيْسِيرُ رَحِمِهَا " [حديث حسن رواه أحمد] .

وكما أمر الإسلام الشباب بالعمل والزواج وأولياء الأمور بتيسير الزواج أمر النساء بطاعة الله ورسوله وأداء العبادات كما أمرهن بعدم التبرج وفتنة الرجال تطهيراً لأنفسهن من ارتكاب المحرم وللمجتمع من الوقوع في الفتنة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]

ولما كانت النساء مُحَبَّبات للرجال وفي مقدمة الشهوات التي زينها الله تعالى لهم فهي تعد فتنة لهم ، والفتنة في اللغة معناها كما جاء في لسان العرب " الفتنة : الاختبار ، والفتنة : المحنة ، والفتنة : المال ، والفتنة : الأولاد .. " فكما أن الله حبَّب المال والبنين للإنسان وجعلهما زينة الحياة الدنيا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ﴾ [الكهف:٤٦] وجعلهما فتنة يمتحن بهما الإنسان ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥] .

جعل الله تعالى النساء فتنة كذلك " ما تَرَكتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجالِ منَ النِّساءِ " [متفق عليه] وهذا مفهوم فتنة النساء في سياقه.

هل النساء حبائل الشيطان ؟

لو جمعتُ طائفة من الناس، وقرأتُ عليهم هذا الحديث ثم طلبتُ منهم أن يقدموا ما فهموه منه لكان الغالب أنهم سيقولون قولاً قريباً من قول أحد شُرَّاح الحديث :

" يُروى أن الله عز وجلَّ لما خلق المرأة فرح الشيطان فرحاً شديداً ! وقال: هذه حبالتي التي لا تكاد يخطئني من نصبتها له، وجاء في الحديث : " النساء حبائل الشيطان" ! ورُوي : " استعيذوا من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر"، وقال ﷺ " أوثق سلاح إبليس النساء.!" .

والنساء في عصرنا، وفي عصور تقدَّمت، دفعن ضريبة الفهم الخاطئ لبعض الآيات والأحاديث التي تتحدَّث عن النساء ، وتكبّدت النساء في تاريخنا كثيراً من الظلم، وصار الكثير يطلق على النساء بأريحية وهدوء بال "حبائل الشيطان".

وكل ما فيه اتهام للنساء بصور عامة لا يصح سنداً ولا متناً مثل : طاعة المرأة ندامة ، هلكت الرجال حين أطاعت النساء ، شاوروهن وخالفوهن ، النساء حبائل الشيطان ، عقولهن في فروجهن ، شهوة النساء تضاعف على شهوة الرجال.

وأي رجل كامل الرجولة يفتن بالنساء فهن مُحَبَّبات للرجال كما قال النبي ﷺ " حُبِّبَ إليَّ النساءُ ، والطيبُ ، وجعلَتْ قرةُ عَيني في الصلاةِ " [صحيح النسائي]

هل فتنة النساء لا تكون إلا في البلاد الإسلامية ؟

قالت سارة : ولماذا فتنة النساء لا تكون إلا في البلاد الإسلامية ؟! لماذا لم نسمع عن هذه الفتنة في البلاد الغربية التي لا فرق فيها بين رجل وامرأة ؟!!

وكانت الحصة قد انتهت ولكن أستاذ الحصة التالية كان غائباً ولم يكن عند الأستاذ نبيل حصة فأكمل الموضع .

– إن فتنة النساء واقع لا يشك فيه وأنت تقرئين في قصة نبي الله يوسف ﷺ أنه حينما وجد نفسه أمام فتنة النساء وخشي على نفسه المعصية دعا الله قائلاً : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣] وبالفعل عصم الله نبيه يوسف ﷺ من هذه الفتنة بحجبها عنه ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

العَلِيمُ ﴾ [يوسف:٣٤] لهذه الدرجة يتأثَّر الرجال بالنساء ولا يستطيعون مقاومتهن . فمع كون سيدنا يوسف ﷺ من الأنبياء والمُقَرَّبين ومن أشد الناس طاعة لله وأكثرهم عبادة وأهداهم وأشدهم خشية لله فلم يأمن على نفسه هذه الفتنة الحاضرة المستمرة غير المحجوبة ولا الممنوعة فدعا ربه أن يصرف عنه هذه الفتنة فاستجاب ربه لدعائه .

– إن غالبية البشر يستطيعون ضبط أنفسهم والاستعصام عند حضور الفتنة ، فهو بذلك أمير نفسه ولا حاجة بحجب فتنة النساء عنه .

– هذا غير صحيح فلا بد من حجب فتنة النساء فالرجال مهما كان صلاحهم لن يكونوا خيراً من سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهو النبي بن النبي بن النبي بن النبي .

– لكن في المجتمعات الغربية لا يتحدثون عن هذه الفتنة .

الحصة القادمة إن شاء نتحدَّث عن فتنة النساء في المجتمعات الغربية .. من يعد لنا هذا البحث .

– روان .. أريد بحثاً متميزاً يا روان .

– إن شاء الله يا أستاذ .

***